مسجد الأمويين في قرطبة

(روعة الفن المعماري الأندلسي وتجليات الحضارة الإسلامية)

د. حامد إبراهيم الاحيدب قادم*

تاريخ التقديم: 2026/04/05 تاريخ القبول: 2026/05/21 تاريخ النشر: 2026/06/30

المستخلص:

تناولت الدراسة المسجد الأموي في قرطبة بوصفه أحد أبرز نماذج العمارة الإسلامية في الأندلس، مع التركيز على خصائصه المعمارية والفنية التي جعلت منه تحفة خالدة عبر العصور. هدفت الدراسة إلى إبراز مظاهر الإبداع الهندسي والجمالي في تصميم المسجد، من خلال دراسة عناصره المعمارية مثل الأقواس الحدوية، والأعمدة، والزخارف النباتية والهندسية، إضافة إلى تتبع مراحل توسعه التاريخية في ظل الحكم الأموي. كما يسعى إلى توضيح دوره الحضاري بوصفه مركزًا دينيًا وعلميًا أسهم في ازدهار الحياة الفكرية في الأندلس. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، من خلال تحليل المصادر والمراجع التاريخية. وتوصلت إلى عدة نتائج أهمها: أن المسجد الأموي في قرطبة لا يمثل مجرد معلم ديني، بل يعد شاهدًا حيًا على تطور العمارة الإسلامية وازدهار الحضارة الأندلسية، فضلًا عن تأثيره الواضح في العمارة الأوروبية لاحقًا. توصي الدراسة ضرورة تكثيف الدراسات العلمية المتخصصة في العمارة الإسلامية في الأندلس، مع التركيز على الجوانب الفنية والهندسية للمسجد الأموي في قرطبة، وتشجيع الباحثين على إجراء دراسات مقارنة بين المسجد الأموي في قرطبة ونماذج معمارية إسلامية أخرى، لإبراز الخصائص المشتركة والفروق المميزة

الكلمات المفتاحية: المسجد، الأموي، الزخرفة، العمارة، الحضارة.

Abstract: This study examines the Great Mosque of Cordoba as one of the most prominent examples of Islamic architecture in al-Andalus, with a focus on its architectural and artistic features that have made it a timeless masterpiece. The study aims to highlight the aspects of engineering and aesthetic creativity embodied in the mosque's design through an analysis of its architectural elements, such as horseshoe arches, columns, and vegetal and geometric decorations, in addition

* أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك . كلية التربية / جامعة الدلنج / السودان . alehadib@gmail.com

to tracing the stages of its historical expansion under Umayyad rule. It also seeks to clarify its civilizational role as a religious and scholarly center that contributed to the flourishing of intellectual life in al-Andalus. The study adopts a historical, descriptive, and analytical approach through the examination of historical sources and references. It concludes with several key findings, most notably that the Great Mosque of Cordoba is not merely a religious monument, but a living testament to the development of Islamic architecture and the prosperity of Andalusian civilization, as well as its clear influence on later European architecture. The study recommends intensifying specialized academic research on Islamic architecture in al-Andalus, with particular emphasis on the artistic and engineering aspects of the Great Mosque of Cordoba, and encourages scholars to conduct comparative studies between it and other Islamic architectural models in order to highlight both shared characteristics and distinctive features.

Keywords: Mosque, Umayyad, Decoration, Architecture, Civilization

مقدمة:

يُعَدُّ المسجد الجامع الكبير في قرطبة من أبرز المعالم الحضارية في تاريخ الأندلس، وأحد أعظم الشواهد على تطور العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي. فقد أسسه الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، ليكون المسجد الجامع لعاصمة الدولة الأموية في الأندلس، ثم تعاقب على توسيعه وتطويره عدد من الحكام الأمويين مثل عبد الرحمن الثاني والحكم المستنصر بالله والمنصور بن أبي عامر، مما جعله تحفة معمارية فريدة تجسد تطور الفن المعماري الأندلسي عبر القرون. وقد أدى المسجد دورًا مهمًا في إبراز ملامح العمارة الأندلسية، حيث جمع بين التأثيرات المعمارية المشرقية والتراث المحلي الأندلسي، فتميز بأقواسه الحمراء والبيضاء المزدوجة، وأعمدته الكثيرة، وزخارفه الدقيقة، إضافة إلى المحراب الفاخر الذي يعد من أبدع نماذج الفن الإسلامي. كما عكس المسجد قدرة المعماريين المسلمين على الإبداع والتجديد في استخدام المواد والفراغات المعمارية، بما يحقق الجمال والوظيفة معًا. ولم يقتصر دور المسجد الأموي في قرطبة على كونه مكانًا للعبادة فحسب، بل كان مركزًا علميًا وثقافيًا بارزًا، تُعقد فيه حلقات العلم وتُلقى فيه الدروس

في مختلف العلوم الدينية واللغوية والعقلية، مما أسهم في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس. ومن ثم أصبح المسجد رمزًا للحضارة الإسلامية الأندلسية، ومظهرًا من مظاهر الرقي المعماري والفكري الذي بلغته الدولة الأموية في الأندلس.

خلفية تاريخية عن عهد الدولة الأموية في الأندلس:

في سنة ٩٢هـ/٧١١م تمكن المسلمون من فتح بلاد الأندلس [١]، على يد موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد، وكان ذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٨٦ – ٩٦هـ)، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأندلس ولاية إسلامية تتبع للدولة الأموية في الشرق، وعرفت الفترة التي تلت الفتح ب(عصر الولاة في الأندلس)، وذلك لأن الأندلس ولاية ضمن ولايات الدولة الإسلامية الأموية، وعليها حاكم (والٍ) أموي يتم تعيينه من قبل الخليفة الأموي في دمشق[٢]. واتخذ المسلمون من قرطبة عاصمة للأندلس، بعد أن كانت العاصمة هي اشبيلية في أول عامين من الفتح.[٣] وفي سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م سقطت الدولة الأموية في الشرق على يد العباسيين الذين أسسوا دولة إسلامية جديدة حكمت البلاد الإسلامية لأكثر من خمسة قرون، وقد أخذ العباسيون بعدَ قيام دولتهم، بمُلاحقة بني أمية وقتلهم، ولذلك فرَّ الكثير منهم بعيدًا، محاولين النجاة بأنفسهم. وقد كان من بين هؤلاء عبد الرحمن الداخل، الذي فرَّ إلى الأندلس، وأعلنَ استقلاله بها. وقد تمكَّن الأمويون من البقاء بهذه الطريقة؛ فأسسوا دولتهم الجديدة في الأندلس، وظلُّوا يحكمونَها زهاء ثلاثة قرون. عُرف عبدُ الرحمٰن بن مُعاوية ب(عبدُ الرحمٰن الدَّاخل)، لأنه من (الداخلين) إلى الأندلس أي الذين دخلوا الأندلس بعد الفتح ، ومُنذُ أن تسلَّم الحُكم دخل المُسلمون في الأندلُس في عهدٍ جديدٍ قائمٍ على أُسسٍ سياسيَّة بعيدةٍ عن العُنصُريَّة والقَبليَّة، وبدأت الأندلُس تسير في طريق اكتساب الحضارة. أضحى الأندلُس بلدًا إسلاميًّا مُستقلًّا عن الخِلافة العبَّاسيَّة في المشرق، بعد أن كان خاضعًا لِمركز الخِلافة في العهد الأُموي. وقد مرت الدولة الأموية في الأندلس بمرحلتين: المرحلة الأولى هي عصر الأمارة الأموية، واستمرت منذ دخول عبدالرحمن الداخل الى الأندلس وانفصاله عن مركز الدولة الإسلامية في الشرق حتى سنة ٣١٦هـ[٤] ، وسمي بعصر الأمارة لأن الحكام الأمويين في الأندلس تحرجوا من التلقب بلقب الخليفة لأسباب عديدة منها الحرص على عدم تعدد الخلافة الاسلامية لقدسيتها عند المسلمين، فأطلقوا على أنفسهم لقب أمراء، وأشهر أمراء هذه الحقبة: عبدالرحمن الداخل، والحكم الأول، وعبدالرحمن الأوسط. والمرحلة الثانية هي مرحلة عصر الخلافة الأموية في الأندلس، وتبدأ من سنة ٣١٦هـ عندما أعلن عبدالرحمن الناصر نفسه خليفة في الأندلس[٥] واستمرت حتى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ.[٦] وقد تميزت الدولة الأموية في الأندلس بنشاط تِجاري وثقافي وعِمراني ملحوظ، حتى أصبحت قرطبة أكثرَ مدن العالم اتساعًا في

ذلك العصر، كما شهدت تشييد الكثير من روائع العِمارة الإسلامية في الأندلس، ومنها الجامع الكبير في قرطبة.[٧] كما شهدت فترة حكم الأمويين نهضة في التعليم العام، جعلت عامة الشعب يجيدون القراءة والكتابة في الوقت الذي كان فيه عِلْيَةُ القوم في أوروبا لا يستطيعون ذلك. كما شهدت الأندلس في عهدهم تطوراً كبيراً في الجانب السياسي والإداري والعسكري. [٨]

يتضح من خلال ما سبق أن الدولة الأموية في الأندلس مثّلت مرحلةً مفصلية في تاريخ الحضارة الإسلامية، إذ أسهمت في ترسيخ الاستقرار السياسي وبناء مجتمع متقدم حضاريًا وثقافيًا. كما كان لسياسة حكامها أثرٌ بارز في ازدهار مختلف جوانب الحياة العلمية والعمرانية والإدارية، الأمر الذي جعل الأندلس إحدى أبرز مراكز الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. وقد انعكس هذا الازدهار على مكانة الأندلس بين الأمم، لتغدو نموذجًا حضاريًا امتد تأثيره إلى أوروبا لعدة قرون.

بداية تأسيس المسجد الجامع في قرطبة:

لما افتتح المسلمون بقيادة مغيث الرومي مدينة قرطبة، اختاروا كنيستها الكبرى المعروفة (شنت بنجت) التي كانت تقع داخل مدينة قرطبة نفسها بالقرب من السور الجنوبي الذي يحيط بها، قبالة باب القنطرة، لإقامة مسجدهم الجامع، فشاطروا في هذه الكنيسة، وأقاموا في شطرهم مسجداً بسيطاً ساذج البناء، وكان من الطبيعي أن يقنع المسلمون الفاتحون بهذا المسجد البسيط، إذ كانوا مجرد محاربين وافدين، حديثي عهد بالبلاد، وليس منهم من كان عارفاً بالبناء، ثم انهم كانوا يجهلون مواطن الحجر، ومناطق استخراج الرخام وغيره من مواد البناء، وتمض الأيام ويتكاثر عدد المسلمين الوافدين الى حاضرة الأندلس، بوصول الطلائع العربية، ونزول جند الشام في قرطبة، فيضيق بهم المسجد، فجعلوا يعلقون فيه سقيفة بعد سقيفة، أو ظلة بعد ظلة، كلما تكاثرت أعدادهم.[٩] وظل الحال هكذا حتى دخول الأمير عبدالرحمن الداخل الأندلس، ونزوله في قرطبة، وتأسيسه للدولة الأموية هناك سنة ١٣٨هـ، فشاهد ما يعانيه المصلين بسبب ضيق المسجد، وقصر السقائف في بعض جوانبه، فعزم على حل هذه المشكلة، وذلك بضم الأرض التي تشغبها الكنيسة الى الجامع، وبناء مسجد جديد يتسع لجميع المصلين، ويتناسب في عظمته وروعته مع فخامة دولته، فدعا رؤساء النصارى في قرطبة وساومهم في بيع نصيبهم من الكنيسة ليدخله في المسجد، وأوسع لهم البذل، فأبوا في بادئ الأمر، ثم طلبوا منه بعد إلحاحه المتواصل أن يسمح لهم ببناء كنيستهم (شنت أجلح) خارج الأسوار، التي خربها المسلمون، فوافق الأمير على طلبهم، وتم الأمر على ذلك في سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م، فأخل أرضها في الجامع الأعظم، فشرع الأمير عبدالرحمن الداخل في هدم الكنيسة والمسجد القديم، وبناء مسجد قرطبة بأسلوبه الجديد سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م، فتم بناؤه

واكتملت أسواره سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وأنفق في بنائه نحو ثمانين ألف دينار.[١٠] وينقسم الجامع الذي بناه الأمير الداخل الى قسمين: قسم مسقوف هو بيت الصلاة، وقسم مكشوف هو الفناء أو صحن المسجد،[١١] وكان بيت الصلاة في هذا المسجد يشتمل على تسعة بلاطات تتجه عمودياً على جدار القبلة، ممتدة على اثني عشر عقداً (قوساً) تقوم هذه العقود على عمد من الرخام، وكان سطح المسجد كله يتألف من لوحات خشبية مسطحة، وتكسو هذه اللوحات والعوارض لوحات زخارف هندسية ملونة ومنقوشة من دوائر وفصوص ومسدسات ومثمنات.[١٢] وكان يعلو هذا السقف المسطح هياكل مسنمة هرمية الشكل، ويحيط بالأسقف من الداخل إزار خشبي منقوش بالآيات القرآنية. وعقدت بين الأعمدة الرخامية على أعلى رؤوسها قسى أو عقود متجاوزة على شكل حدوة الفرس، تقوم مقام الأوتار الخشبية، وظيفتها ربط الأعمدة فيما بينها، ويتناول في جميع العقود اللونان الأصفر الشاحب والأحمر، نتيجة لتناوب الحجارة والآجر، بحيث يتألف من هذا التناوب سنجة حجرية، وثلاثة صفوف متلاحمة من الآجر الأحمر تألف سنجة أخرى، وهكذا تمكن مهندس الجامع من إحداث تأثير جمالي، من هذه الحلية المعمارية البسيطة. وفي ذلك تأثيراً بالفن البيزنطي والفن اللومباردي الروماني.[١٣] وحين يتخذ المرة طريقة داخل المسجد ماراً بين صفوف الأعمدة الممتدة الى ما لانهاية بعقودها المزدوجة، توحي اليه هذه العمد والعقود المتكررة بالطبيعة الحية تحت ظلال في لون الشفق بحيث تمثل غابة من النخيل، ويتسلل الضوء من شبكات النوافذ الخارجية باهتاً داخل مسطح بيت الصلاة، ويحدث تأثيراً عميقاً في النفس، فيشعر المرء نفسه في هذا المسجد بعيداً عن نطاق الحقيقة، ويظل مستغرقاً مهيئاً للتطلع الى ما وراء الحس، في صلاة خاشعة، ولا سبيل الى أن يكون الخلق المعماري أكثر كمالاً مما يوحى به هذا المثل الديني في بساطته وتجرده.[١٤] وكان صحن الجامع مغروساً بالأشجار، فقد عهد الأمير عبدالرحمن الداخل الى عبدالله بن صعصعة بن سلام المتوفي سنة (١٩٢هـ) وهو صاحب الصلاة بالمسجد، أن يغرس صحن المسجد بالأشجار ففعل، واتبع أمراء الأندلس وخلفاؤها هذا التقليد بعد ذلك، فطبق في بقية مساجد الأندلس.[١٥]

توفي الأمير عبدالرحمن الداخل سنة ١٧٢هـ قبل أن يتم بناء مسجده، فلم يكن للمسجد مئذنة ولم تكن فيه سقائف لصلاة النساء، فأتمه ابنه الأمير هشام الذي تولى الأمارة بعده في (١٧٢ – ١٨٠هـ)[١٦] فأقام الأمير هشام مئذنة في الجامع بلغ ارتفاعها الى موضع الأذان نحو عشرين متراً، كما في نهاية المسجد مما يلي الجوف سقائف لصلاة النساء، وامر ببناء ميضأة بشرقي الجامع،

ولكن مئذنة هشام لم يكتب لها أن تبقى طويلاً، إذ تصدعت في أواخر عهد الأمير عبدالله، فهدمها الأمير عبدالرحمن لناصر لاحقاً وأقام صومعة أخرى جليلة بدلاً عنها.[١٧]

تسلم عبدالرحمن الأوسط الحُكم بعد وفاة والده الأمير الحكم الربضي، فكانت فترة حكمه في الفترة من (٢٠٦ – ٢٣٨هـ) في ظل أجواء هادئة لا اعكره المنافسات العائلية ولا الحركات الثورية الخطيرة،[١٨] فرفع من شأن قرطبة وجعلها عاصمة تليق بالإمارة، وفي عهده تكاثر الناس في قرطبة وتوافدوا اليها من أوب، حتى ضاق عنهم بيت الصلاة بالمسجد، وكانت بلاطات المسجد الي بناه عبدالرحمن الداخل تسعاً، فأنشأ عبدالرحمن الأوسط من ابتدائها شرقاً وغرباً بلاطين زائدين عليها، ممتدين معها، سنة ٢١٨هـ، فكمل عدد بلاطات المسجد أحد عشر بلاطاً استوسع به المسجد، ورفه عن حاضريه، ووصل هذين البلاطين في سقيفتين، ووصلها بالسقائف التي كانت معدة بجوف المسجد الأقدم لصلاة النساء، وابتنى في مؤخر الصحن سقيفة جوفية، نظمهما بالسقيفتين اللتين ابتناهما على طرفيه بشرقيه وغربيه.[١٩] وفي سنة ٢٣٤هـ زاد الأمير عبدالرحمن الأوسط في بيت الصلاة بجامع قرطبة أول زيادة في عمقه أو اتساعه أُجريت فيه، وهي الزيادة الأولى البارزة من بين البنية الأولى التي ابتناها جدهم الأمير عبدالرحمن الداخل، وجمع فاخر الآلات لبنائه، واستكثر من عدد حذاق الفعلة لإحكامه، وأشرف على ذلك محمد بن زياد قاضي قرطبة وصاحب الصلاة فيها. ويبلغ عرض زيادة عبدالرحمن الأوسط خمسون ذراعاً، وطولها مائة وخمسون ذراعاً، وعدد سواريها ثمانين سارية.[٢٠] وقد سايرت زيادة عبدالرحمن الأوسط أسلوب عبدالرحمن الداخل في البناء والزخرفة، وفتح في بيت الصلاة بابان في جانبي المسجد الشرقي والغربي، بالإضافة الى البابين القديمين، فأصبح للجامع أربعة أبواب: اثنان منها في الجهة الغربية، وأثنان في الجهة الشرقية. ثم مات الأمير عبدالرحمن الأوسط قبل أن يتم زخرفة المسجد، وخلفه ابنه الأمير محمد (٢٣٨ – ٢٧٣هـ)[٢١] وعلى الرغم من أن وفت الأمير محمد لم يتسع كثيراً للأعمال الإنشائية، لما زخر به من الفتن والغزوات المتتالية، فقد قام منها بطائفة حسنة، وكان في مقدمتها منشآته بالمسجد الجامع، فقد عنى أولاً بإتمام الزيادة التي بدأها أبوه عبدالرحمن الأوسط في وسطه وأقام فيها المقصورة، وكان أول من اتخذها هنالك من الخلفاء، وأصلح جماحه القديم الذي أنشأه عبدالرحمن الداخل، وجدده وأعاده الى رونقه القديم.[٢٢]

ثم زاد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣ – ٢٧٥هـ) البيت المعروف ببين المال، فأقامه في صحن الجامع، على غرار بيوت المال في مساجد عمرو بن العاص بالفسطاط، والجامع الأموي بدمشق،

وجامع حمص، وأمر بتجديد السقاية وإصلاح السقائف.[٢٣] ثم زاد أخوه الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥ – ٣٠٠هـ)[٢٤] ساباطاً (ممر فوقه بناء) معقوداً على حنايا، أوصل به ما بين القصر والجامع من جهة الغرب، ثم أمر بستارة من آخر هذا الساباط الى أن أوصلها بالمحراب، وفتح الى المقصورة باباً كان يخرج منه الى الصلاة، وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية في الأندلس، وتابعه في ذلك من خلفه منهم.[٢٥]

المسجد الجامع في عصر الخلافة الأموية:

تولى عبدالرحمن الناصر الحكم في الأندلس سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، بعد وفاة جده الأمير عبدالله،[٢٦] واستمرت خلافته حتى سنة ٣٥٠هـ، وقد قضى المرحلة الأولى من حكمه في القضاء عبى الثورات المعارضة، وبعد القضاء عليها واستقرار البلاد أعلن نفسه خليفة في قرطبة سنة ٣١٦هـ، وتلقب البناصر لدين الله.[٢٧] وبعدها شرع في تنفيذ برنامج حافل لتجميل عاصمة خلافته بالأبنية العظيمة، والقصور الفخمة، والمنشآت الجليلة التي تليق بجلال الخلافة، لذلك رأى الخليفة عبدالرحمن الناصر أن يقيم مئذنة جديدة تسمو على سائر العمران بقرطبة، ويراها القادمون من بعيد كأنها المنار الذي يهدي الصفن الضالة في مياه البحر، وأمر عام ٣٤٠هـ، ببناء مئذنة جديدة، فجمع لها عرفاء المهندسين من كل مكان، وأحضر لها الأحجار الضخمة على عجل، وشرع المهندسون في بنائها بعد ان هدموا مئذنة هشام الى قواعدها، وهدموا السور الشمالي للمسجد، وحفروا أساسها حتى بلغ الماء، وأتموا بناءها في ثلاثة عشر شهراً، فجاءت رائعة البناء، وكان مئذنة هشام ذات مطلع واحد، فجُعل لمئذنة الناصر مطلعين، وفصلوا بينهما بالبناء، فلا يلتقي الراقون فيها الا في أعلاها، وكان لكل مطلع منها مائة وسبع درجات، وبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعاً حتى مكان المؤذن، أي ضعف ارتفاع المئذنة الأولى، ومن مكان المؤذن الى أعلاها عشرين ذراعاً، ثم نصب بأعلى المئذنة سفود (قضيب) بارز، ركبت فيه ثلاث رمانات من الذهب والفضة.[٢٨] تغشي النواظر بشعاعها، وتخطف الأنظار بالتماعها، الأولى مفروغة من الذهب والوسطى من الفضة والثالثة من الذهب أيضاً، وزنة كل رمانة قنطار واحد فما دونه، ودور كل واحدة ثلاثة أذرع وتصف.[٢٩] وكان طول كل جانب من جوانب المئذنة ثمانية أمتار ونصف متر، جدرانها مبطنة جميعها بنوع من الحجر الجيري، ومنقوشة من أسفلها الى أعلاها بنقوش متنوعة وزخارف ملونة، وكانت الأوجه الأربعة للمئذنة تزدان بثلاث صفوف من النوافذ المزدوجة، تحيط بها عقود تشبه حدوة الفرس، قائمة على عمد من الرخام، وقد أُتخذت مئذنة الناصر أنموذجاً للمآذن الأندلسية والمغربية، ولم تقف أعمال الخليفة الناصر عند هذا الحد، فقد قام بترميم واجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن، وكانت قد تصدعت

بسبب الدفع المستمر للعقود الداخلية، ثم أصلح أبواب المسجد وأقام عليها ظلة تستند على كوابيل على نمط كوابيل واجهة بيت الصلاة، وقد سجل الناصر أعماله هذه على لوحة بجوار المدخل الى البلاط الأوسط.[٣٠]

وبعد الخليفة عبدالرحمن الناصر تولى الحُكم ابنه الخليفة الحَكَم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦هـ)، كما عُرف في كتب التاريخ بالحكم الثاني، وكان في الثامنة والأربعين من عمره حينما تولى الخلافة، واستلم بلاداً موطدة الأركان داخلياً، ومرهوبة الجانب من القوى الأجنبية،[٣١] لقد عاشت الأندلس في عهد الحكم المستنصر عصراً ذهبياً تميز بعدة مظاهر أبرزها ازدهار العلوم والأدب، والعمران، وأعماله الإنشائية كثيرة أهمها الزيادة الكبيرة التي أجراها في المسجد الجامع في قرطبة من جهة القبلة سنة ٣٥٠هـ، لمواجهة مشكلة تزايد سكان العاصمة قرطبة، وعدم اتساع المسجد لجموع المصلين،[٣٢] فاضطر الحكم الى توسيع المسجد ، وعهد الى حاجبه جعفر الصقلي في اليوم الثاني من خلافته بمهمة الاشراف على احضار الأحجار من جبال قرطبة، وخرج الحكم بنفسه لتقدير الزيادة وتفاصيل بنائها، وأحضر لهذا الغرض الأشياخ والمهندسين، فحددوا هذه الزيادة من قبلة المسجد الى آخر الفضاء.[٣٣] ورسموا أن تكون بمد بلاطات المسجد جنوباً على اثني عشر عقداً، واستمر بناء الزيادة أربع سنوات، أنفق فيها مائتان وواحد وستون ألف ديناراً وخمسمائة وسبعة وثلاثون ديناراً.[٣٤] وفي جمادى الآخرة سنة ٣٥٤هـ أتم بناء قبة المحراب،[٣٥] ثم أحط هذه القبة بقبتين جانبيتين، وأقام على مدخل زيادته بالجامع تجاه قبة المحراب قبة أخرى تشبه قباب باب البهو بجامع الزيتونة بتونس وقبة جامع القيروان. ثم شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد، وكان ملك الروم قد بعث إليه مع صانع يتقن صناعتها، فأجرى الصانع الفسيفساء على جدار المحراب وفي باطن القبة الكبرى، ومنه تعلم الصناع المسلمون طريقة تنزيل الفسيفساء وحذقوها، وتفوقوا عليه في صنعته. وفي سنة ٣٥٥هـ أمر الحكم بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب، ونصب في قبلة زيادته مقصورة من الخشب، منقوشة الظاهر والباطن، وأحاط بها خمسة بلاطات من زيادته، أطلق أطرافها على الستة الباقية، وجعل لها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة، عجيبة النقش.[٣٦] وصنع الحكم لزيادته منبراً ليس على معمور الأرض أتقن منه، ولا مثله في حسن صنعته، وخشبه ساج وأبنوس، وقد أحكم عمله ونقشه في سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمانية صناع.[٣٧] وكان عدد درجاته تسعاً، وعدد حشواته ست وثلاثون ألف حشوة، سمرت بمسامير الذهب والفضة ورصعت بنفس الأحجار، وكان هذا المنبر يسير على عجل، وكان يوضع بعد صلوات الجمع في غرفة تقع خلف المحراب وقد ابتعت هذه الطريقة بعد ذلك في المغرب. وفي عام ٣٥٦هـ هدم الحكم الميضأة

القديمة التي أسسها الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل في فناء المسجد، وبنى في موضعها أربع ميضآت في كل جانب من جانبي الفناء (الشرقي والغربي)، وأجرى اليها الماء من عين بجبل قرطبة في قناة حجرية متقنة البناء، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظها من كل دنس، وصبت ماءه في أحواض من الرخام. ثم أجرى ما يزيد على حاجة المسجد الى سقايات اتخذها على أبواب الجامع بجهاته الثلاث (الشرقية والغربية والشمالية).[٣٨] واختتم الحكم أعمال أبناء ببناء دار للصدقة غربي الجامع، لتكون معهداً لتوزيع صدقاته، كما أقام في ساحة الجامع مكاتب لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين.[٣٩]

وزيادة الحكم المستنصر أعظم ما أُضيف الى جامع قرطبة من حيث البناء والزخرفة، وقد زودت المسجد بتناسقه وتعادل أجزائه، وأهم ما في عمارته القباب التي تقوم على هياكل من عقود بارزة متشابكة في أشكال هندسية رائعة، تؤلف نجوماً تتوسطها قبيبات مفصصة، وكُسيت الفراغات بين العقود البارزة بزخارف نباتية آية في الروعة والجمال، وأجرى فيها الفسيفساء المذهبة، وقد أوحت قباب الحكم الى الفنانين الفرنسيين ابتكار القبوات القوطية الشهيرة.[٤٠] أما المحراب الجديد الذي أقامه الحكم فهو أجمل عنصر معماري في الجامع إذ عنى به المهندسون باعتباره أنبل مكان بالمسجد، فأقلموا القباب على بلاطه الأوسط ورواقه الأمامي، ونقش هذا المحراب من الداخل والخارج بالتوريقات (زخارف نباتية)، وزُينت عضادتاه بلوحات رخامية حُفرت فيها زخارف نباتيه وتوريقات حفراُ غائراً على الأسلوب البيزنطي. وبأعلى المحراب قبة على شكل محارة، وتنتهي واجهة المحراب بسلسلة من ستة عقود صغيرة، تقوم على عمد، حيث تظهر بينها توريقات من الفسيفساء على أرضية مذهبة. وقد فتح الحكم يمين المحراب باباً يؤدي الى الممر الجديد الذي يصل بين قصره ومقصورة الجامع.[٤١] ويتصل هذا الباب بمخزن تحفظ فيه العِدد والطسوت والحسك الخاص بوقيد الشموع في كل ليلة ٢٧ من شهر رمضان، كما كان يحفظ فيه مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه أربع أوراق من مصحف سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وفيه نقط من دمه، وهذا المصحف يُخرج في كل صبيحة يوم جمعة، وللمصحف غشاء بديع الصنعة منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه، وله بموضع المصلى كرسي يُوضع عليه، ويتولى الإمام قراءة نصف حزب منه ثم يرد الى موضعه.[٤٢]

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر (٣٦٦ – ٣٩٩هـ)، ظهرت شخصية حاجبه محمد بن أبي عامر الذي عُرف الحاجب المنصور، فاستقل صغر ست الليفة هشام المؤيد وسيطر على كل مفاصل الدولة، فتاريخ الأندلس في هذه الفترة هو تاريخ الأسرة العامرية ممثلة

في (الحاجب المنصور وولديه المظفر وعبدالرحمن) التي استبدت بالحكم بموافقة الخليفة هشام نفسه،[٤٣] وفي هذا العهد شرع الحاجب المنصور سنة ٣٧٧هـ في زيادة المسجد بعد أن ضاق بالمصلين، ولما كان قصر الخلافة يجاور الجانب الغربي وكان جدار القبلة قريباً من نهر الوادي الكبير ، بدأ زيادته بشرقيه على بلاطات تمتد بطول المسجد من أوله الى آخره، وقُصد منها المبالغة في الاتقان، وإحكام البنية دون الزخرفة، وإن كانت لا تقل عن سائر الزخارف روعةً وجمالاً.[٤٤] وكان أول ما قام به الحاجب المنصور هو نزع ملكية الدور القائمة شرقي المسجد والتي أدخلها في زيادته، وتعويض أصحابها عنها بالمال والعقار. ودام العمل في هذه الزيادة عامين ونصف العام وكان يعمل في هذه الزيادة بنفسه، واستخدم الأسرى المسيحين في بناء الجامع.[٤٥] كما إنه جعل من نواقيس النصارى التي غنمها من غزونه ل(شنت) سنة ٣٧٨هـ مصابيح لإنارة المسجد، اضافت عنصراً جمالياً ينسجم مع روعة العمارة وروعة زيادته في جامع قرطبة.[٤٦] كذلك هدم الحاجب المنصور أبواب الجامع من الجهة الشرقية قبل أن يشرع في زيادته، وفتح في الجدار الشرقي ببيت الصلاة القديم ثغرات واسعة نصل بين الزيادة الجديدة وبيت الصلاة القديم، وقد تخلف من هذا الجدار الشرقي لجامع الحكم بقايا على جانب كبير من الأهمية، أما الدار الشرقي الجديد للجامع فقد فتح فيه المنصور ثمانية أبواب، فأصبح عدد الأبواب الشارعة الى بيت الصلاة ستة عشر باباً، يضاف إليها خمسة أبواب تنفتح على مجنبات الصحن، فيكون مجموع أبواب الجامع بصورته النهائية واحد وعشرون باباً، كانت جميعها ملبسة بالنحاس الأصفر ومخرمة تخريماً رائعاً.[٤٧]

احتفظ المسجد الجامع بقرطبة بصورته تلك طوال العصر الإسلامي، دون أن يطرأ عليه أي تغيير في نظام بنائه، ولم تضف اليه أية إضافات، إذا استثنينا أعمال الترميم والإصلاح اللازمة للمسجد والتي لا بد ان تكون قد أُجريت فيه في عصري المرابطين والموحدين. وظل المسجد كذلك حتى سقطت قرطبة في يدي فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، فتحول هذا البناء الشامخ الى كنيسة عُرفت بسانتا ماريا العظمى.[٤٨]

تُبرز الجهود التي بذلها الخلفاء الأمويون في تشييد الجامع الكبير بقرطبة وتوسعته مدى اهتمامهم بالعمارة الإسلامية وحرصهم على إظهار عظمة الدولة الإسلامية في الأندلس. فقد تنافس الأمراء والخلفاء في تطوير المسجد وتجميله وإضافة العناصر المعمارية والزخرفية المميزة إليه، حتى أصبح من أعظم المعالم الحضارية في العالم الإسلامي. ويعكس هذا الاهتمام المكانة الكبيرة

التي أولتها الدولة الأموية للفنون والعمران، بوصفهما مظهرًا من مظاهر الرقي الحضاري والقوة السياسية، الأمر الذي جعل مسجد قرطبة شاهدًا خالدًا على ازدهار العمارة الإسلامية في الأندلس.

أثره في تمثيل روعة العمارة الإسلامية:

وللمسجد الجامع في قرطبة تأثيرات كبيرة في العمارة الإسلامية والمسيحية، فهو من الوجهة الفنية أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط، ومن الوجهة العلمية هو اكبر جامعة إسلامية تُدرس فيها العلوم الدينية واللغوية، ويفد اليها طلاب المسلمين والعجم للدرس والتحصيل، لذلك اشتهرت مدينة قرطبة لاشتمالها على هذا المسجد الجامع، الذي ليس في بلاد الأندلس والإسلام أكبر منه،[٤٩] فهو الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره، من أجّل مصانع الدنيا كبر مساحة، وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، فقد بلغ الغاية في الاتقان، فصار يُحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً.[٥٠] وهكذا أصبح يُضرب بهذا الجامع المثل في العظمة والاتساع، وفي كثرة الزخارف والجمال، وقد بالغ مؤرخو العرب في المغرب والأندلس في وصفهم له، فصوروه تصويراً أقرب الى الخيال، واختصوه بعنايتهم، وعظموه وأجلّوه، وكتبوا في تاريخيه ووصفه فصولاً طوالاً. ففي العمارة الإسلامية كان هذا الجامع الأعظم نموذجاً أقتبسه الأمراء والخلفاء المسلمون في الأندلس والمغرب ومصر فأقاموا المساجد على صورة تشبه الى حد كبير جانب من شكله وتنسيقه وزخرفته، فمنه أُخذت نظام القباب ذات الضلوع، ومنه اشتقت نظام البلاطات المتجهة عمودياً على جدار القبلة. أما تأثيراته في العمارة المسيحية فقد تغلغلت في اسبانيا المسيحية، ومنها انطلقت الى مقاطعات فرنسا الجنوبية حيث تتجلى بحق في كنائس جاسكونيا ولانجروك واكيتانيا ونورماندي وغيرها.[٥١]

يتضح أن الجامع الكبير بقرطبة أدّى دورًا حضاريًا بارزًا تجاوز وظيفته الدينية، إذ أصبح مركزًا للعلم والثقافة والحياة الاجتماعية في الأندلس. فقد أسهم في نشر العلوم الشرعية واللغوية، واستقطب العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار، مما جعل قرطبة من أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي. كما عكس الجامع مستوى التقدم الحضاري الذي بلغته الدولة الأموية في الأندلس من حيث التنظيم والعمران والفنون، وأسهم في نقل مظاهر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عبر تأثيراته العلمية والمعمارية، ليغدو رمزًا من رموز الازدهار الحضاري الإسلامي في العصور الوسطى.

خاتمة:

وفي الختام يمكن القول أن عظمة المسجد الأموي في قرطبة تتجلى في وصفه بأنه تحفة معمارية خالدة تجسّد روعة الفن الإسلامي في الأندلس، حيث تلاقت فيه العبقرية الهندسية مع

الذوق الجمالي الرفيع. فلم يكن مجرد مكان للعبادة، بل صرحًا حضاريًا يعكس ازدهار الدولة الأموية في الأندلس، ودليلًا على ما بلغته من تقدم في فنون البناء والزخرفة. وقد ترك هذا المعلم أثرًا عميقًا في العمارة الإسلامية والمسيحية في تلك الحقب، بما تميز به من أقواس متعاقبة، وتناسق هندسي بديع، وزخارف تنبض بالحياة. وهكذا يبقى المسجد شاهدًا حيًا على عظمة الحضارة الإسلامية، ورمزًا خالدًا لإبداع الإنسان حين يمتزج الإيمان بالفن، فينتج أثرًا يتجاوز حدود الزمان والمكان.

النتائج:

١/ يُعدّ المسجد الأموي في قرطبة من أعظم الشواهد المعمارية التي تعكس تطور العمارة الإسلامية في الأندلس، وبلوغها مستوى متقدمًا من الإبداع الفني والهندسي.

٢/ يعكس المسجد تطور فنون الزخرفة الإسلامية، من خلال استخدام التوريقات والفسيفساء والخط العربي، بما يدل على التقدم الفني والحضاري في ذلك العصر.

٣/ مرّ المسجد بعدة توسعات عبر عصور مختلفة، ما يدل على استمرارية الاهتمام به، ويبرز تطور الأساليب المعمارية في كل مرحلة زمنية.

٤/ كان للمسجد دور حضاري وثقافي بارز، حيث شكّل مركزًا للعلم والتعليم، وأسهم في ازدهار الحياة الفكرية في الأندلس.

٥/ أثّر المسجد الأموي في قرطبة في العمارة الأوروبية لاحقًا، خاصة في إسبانيا، حيث انتقلت بعض عناصره الفنية إلى الكنائس والمباني الأخرى بعد تحويله.

٦/ يظل المسجد شاهدًا حيًا على عظمة الحضارة الإسلامية، ودليلًا على قدرتها على الإبداع والتأثير في الحضارات الأخرى عبر العصور.

التوصيات: توصي الدراسة بالآتي:

١/ ضرورة تكثيف الدراسات العلمية المتخصصة في العمارة الإسلامية في الأندلس، مع التركيز على الجوانب الفنية والهندسية للمسجد الأموي في قرطبة.

٢/ تشجيع الباحثين على إجراء دراسات مقارنة بين المسجد الأموي في قرطبة ونماذج معمارية إسلامية أخرى، لإبراز الخصائص المشتركة والفروق المميزة.

٣/ إدراج دراسة المسجد ضمن المناهج التعليمية في مجالات التاريخ والعمارة، لتعزيز الوعي بقيمة التراث الإسلامي.

٤/ توجيه الاهتمام نحو دراسة تأثير المسجد في العمارة الأوروبية، وبيان دوره في نقل العناصر الفنية الإسلامية إلى الغرب.

الحواشي :

١/ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م،، ص٥٦٢.

٢/ عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٧١.

٣/ ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ج٢، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م، ص٢٤.

٤/ العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٥٦.

٧٥/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧.

٦/ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، أعمال الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٣٩.

٧/ سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص٢٩٥.

٨/ المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ، نفح الطيب، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٩٨.

٩/ المقري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٦.

١٠/ سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٣٨٤.

١١/ الحميري، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للنشر، القاهرة، ١٩٦٦م،، ص١٥٣.

١٢/ الادريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٥٧٥.

١٣/ سالم، السيد عبدالعزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص١٤.

١٤/ سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مرجع سابق، ص١٥.

١٥/ سالم، تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص٣٨٦.

١٦/ خليل السامرائي، وأخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٠م، ص١٠٦.

١٧/ ابن القوطية، أبوبكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز، تاريخ افتتاح الأندلس، مؤسسة المعارف للنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٤٣.

١٨/ إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٣٠.

١٩/ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٤، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م ، ص١٣٠.

٢٠/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٣.

٢١/ عنان، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٩.

٢٢/ عنان، المرجع السابق، ج١، ص٣١٤.

٢٣/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٣.

٢٤/ ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٢٠.

٢٥/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٣.

٢٦/ ابن الخطيب، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢.

٢٧/ العبادي، مرجع سابق، ص٥٦.

٢٨/ الحميري، مصدر سابق، ص١٥٥

٢٩/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٨.

٣٠/ سالم، تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص٣٩٠.

٣١/ د.خليل السامرائي، وأخرون، مرجع سابق، ص١٨٦.

٣٢/ العبادي، مرجع سابق، ص٤٢٢.

٣٣/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٩.

٣٤/ المقري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٤.

٣٥/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٤.

٣٦/ المقري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٨.

٣٧/ الحميري، مصدر سابق، ص١٥٥.

٣٨/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٨.

٣٩/ سالم، تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص٣٩٤.

٤٠/ سالم، القصور والمساجد في الأندلس، مرجع سابق، ص٣٤.

٤١/ سالم، تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص٣٩٦.

٤٢/ الإدريسي، مصدر سابق، ص٥٧٧.

٤٣/ العبادي، مرجع سابق، ص٤٣٤.

٤٤/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٨.

٤٥/ المقري، مصدر سابق، ج٢، ص٨٤.

٤٦/ سالم، القصور والمساجد في الأندلس، مرجع سابق، ص٤٠.

٤٧/ سالم، تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص٣٩٧.

٤٨/ ابن عذارى، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٨.

٤٩/ المقري، مصدر سابق، ج٢، ص٨.

٥٠/ الحميري، مصدر سابق، ص١٥٣.

٥١/ سالم، تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص٤٠٠.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر :

١/ ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢/ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٣/ الادريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤/ الحميري، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥/ ابن الخطيب، لسان الدين السلماني، أعمال الأعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٦/ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٤، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م.

٧/ ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ج٢، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٣م.

٨/ ابن القوطية، أبوبكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز، تاريخ افتتاح الأندلس، مؤسسة المعارف للنشر، بيروت، ١٩٩٤.

٩/ المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ، نفح الطيب، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

ثانياً : المراجع:

١/ بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في اسبانيا، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م.

٢/ سالم، السيد عبدالعزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

٣/ سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٤/ خليل السامرائي، وأخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٠م.

٥/ العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

٦/ عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.